
سلسلة غزوات الرسول

غزوة خيبر

إعداد/ مسعود صبري
رسوم/ عطية الزهيري

١٥ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي
تليفون وفاكس : ٧٤٩٣٦٨٥(٢٠٢)   محمول : ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣

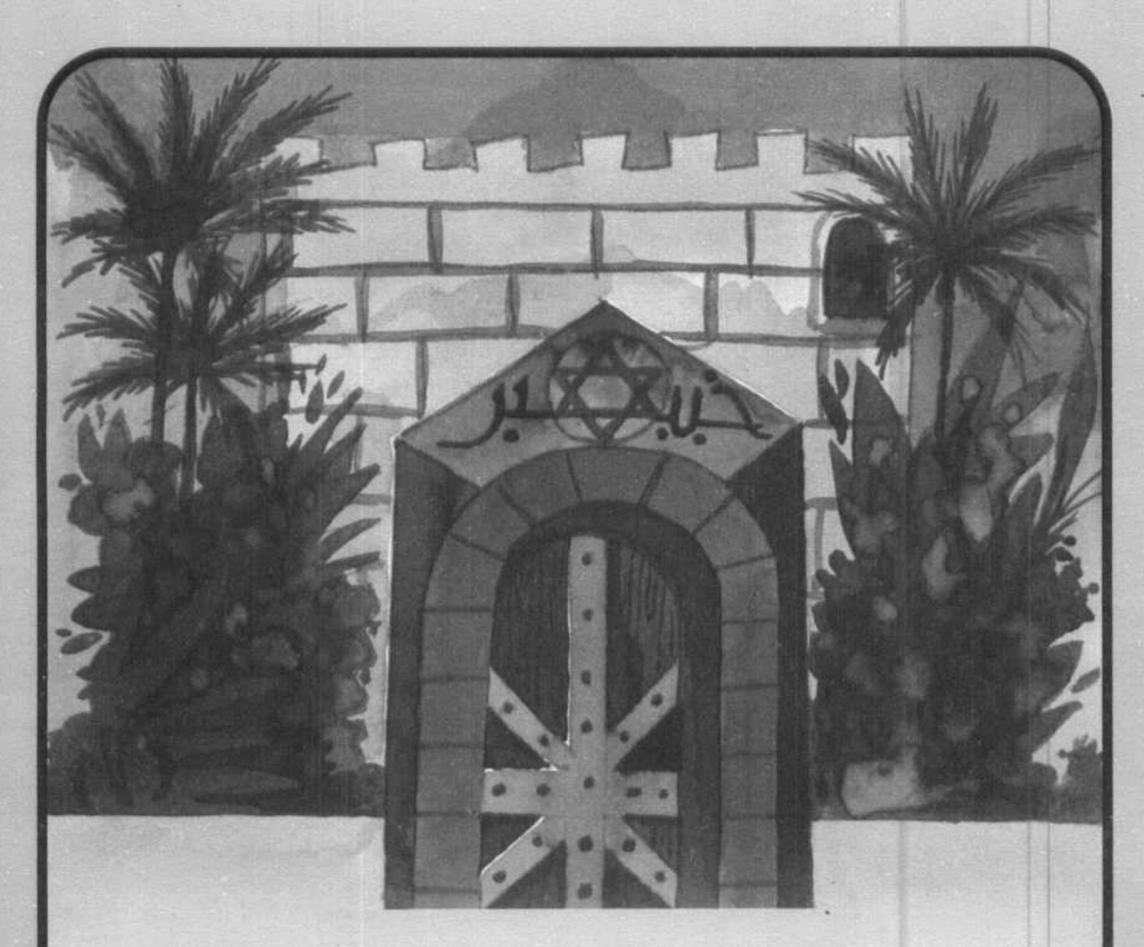
رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٣٨٣٨



فى أواخر العام السادس من الهجرة، عقد الرسول ﷺ صلحاً مع قريش هو صلح الحديبية، وكان الرسول ﷺ قد خرج والصحابة معه، ليؤدوا عمرة إلى بيت الله الحرام، فلما أرسلوا من يخبر قريشاً، اعترضته، وانتهى الموقف بعد أن أرسلت قريشاً رجالاً يفاوضون الرسول ﷺ، كان آخرهم سهيل بن عمرو الذى وقع صلح الحديبية، وكان من بين شروطه وقف القتال بين الفريقين عشرة أعوام، وألا يعتمر المسلمون هذا العام، ولهم زيارة البيت العام القادم، وأن من جاء من المشركين مسلماً، رده الرسول ﷺ إليهم، وأن من ارتد عن الإسلام ذاهباً إلى المشركين، لا ترده قريش، وكانت السنوات العشر، فرصة لأن يرسل الرسول ﷺ رسلاً من الصحابة إلى الأمراء والملوك، يدعوهم إلى دعوة الإسلام، وانضمت بعض القبائل إلى الرسول ﷺ.



وأراد الرسول ﷺ أن يسود الأمن المدينة، ولكن اليهود لم يكفوا أذاهم عن المسلمين، وخاصة يهود خيبر، فأعلن الرسول ﷺ الجهاد فى أصحابه، وأمرهم ألا يخرج معهم إلا من بايعه تحت الشجرة، وكان ذلك فى صلح الحديبية، لما أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان لقريش، أشيع أنه قتل، فبايع الصحابة الرسول ﷺ تحت الشجرة، على الجهاد فى سبيل الله. والسبب فى أنه لا يخرج إلى خيبر إلا من كان معهم فى بيعة الشجرة، أن خيبر فيها ثروات وغنائم كثيرة، فكان كثير من المنافقين يريدون الخروج لأجل الحصول على الغنائم.



وأرسل الرسول ﷺ إلى خيبر من يخبرهم أنه قادم إليهم، وأنه يعرض عليهم إما الإسلام، أو الجزية أو الحرب، ولكن المنافق عبد الله بن أبى بن سلول كان قد أرسل إليهم، يخبرهم أن عليهم الصمود أمام جيش محمد، فهم عدد قليل، ولا سلاح معهم، فرفضوا الدخول فى الإسلام، كما رفضوا دفع الجزية للمسلمين، واختبئوا فى حصونهم، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، خوفاً من أن يلاقوا مصير الطوائف الأخرى من اليهود، مثل بنى قريظة، وبنى قينقاع، فتحصنوا فى مدينتهم، وهى مدينة بها كثير من الحصون والمزارع والنخيل والأشجار.

ونزل الرسول ﷺ قريباً من حصن «نطاة» وهو حصن منيع، يجتمع فيه أعداد كبيرة من اليهود الذين يجيدون القتل والحرب، فلما نزل الصحابة مع الرسول ﷺ ذلك الحصن، اقترح الحباب بن المنذر على الرسول ﷺ أن ينزل منزلاً غير هذا، لأن هذا حصن منيع، وفيه المقاتلون من اليهود، وهم فى الحصن يستطيعون أن يعرفوا كل أخبار المسلمين، ولا يستطيع المسلمون معرفة أخبارهم، كما أن به نخلاً كثيراً، فإذا رمى المسلمون السهام، لم تصب اليهود، بينما يستطيع اليهود رمى السهام على المسلمين بيسر وسهولة، ففرح الرسول ﷺ برأى الحباب، وأخذ به، ونزل فى مكان آخر.

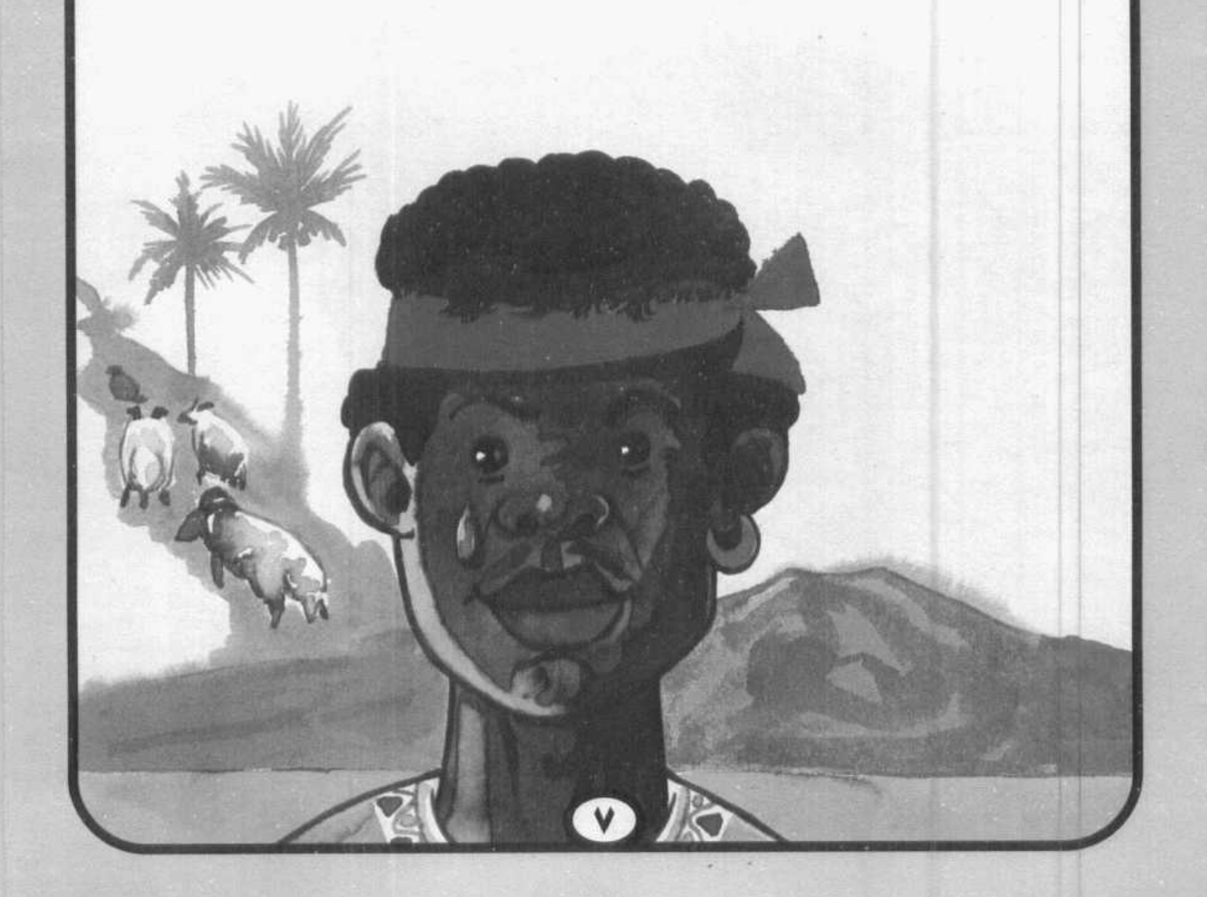


وفى الليل، قال النبى ﷺ لأصحابه: «لأعطين الراية غداً، رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فأصبح كل واحد من الصحابة يتمنى أن يكون هو هذا الرجل، حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، مع أنه كان يكره أن يعين قائداً فى أى شىء، إلا أنه تمنى فى نفسه ذلك، عسى أن تناله بركة حديث النبى ﷺ ودعاؤه.

فلما كان الصباح، سأل الرسول ﷺ عن على بن أبى طالب، فقالوا له: إن به وجعاً فى عينيه، فطلب الرسول ﷺ أن يرسلوا إليه، فلما جاءه تفل فى عينيه، فشفيت بإذن الله، وأعطى الرسول ﷺ الراية لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه.



وفى أثناء ذلك، جاء أحد الرعاة واسمه الأسود إلى الرسول ﷺ، وكان يرعى أغنامًا لأحد اليهود، وطلب من الرسول ﷺ أن يشرح له الإسلام، فلما شرحه له أسلم، ولكن الأسود الراعى استفسر من الرسول ﷺ كيف يجاهد معه، والأغنام أمانة عنده، فطلب الرسول ﷺ منه أن يرسلها، وأنها ستذهب إلى صاحبها، وأخذ بحفنة من الحصى فرمى بها وجهها، فسيقت حتى دخلت الحصن إلى صاحبها، وانضم الأسود الراعى إلى جيش المسلمين، فقتل ومات شهيداً.



وكان لليهود حصون كثيرة، وكانوا قد قسموا المدينة قسمين، القسم الأول كان به خمسة حصون، والقسم الثانى، كان به ثلاثة حصون، وبدأ المسلمون الهجوم عليهم، وحاصروا الحصن الأول، وبعد فترة، أحس اليهود بالهزيمة، فرحلوا إلى الحصن الثانى، فحاصره المسلمون، فهربوا إلى الثالث، فحاصره المسلمون، فهربوا إلى الرابع، فدار قتال ثم هربوا إلى الخامس، فحاصره المسلمون، فانتقلوا إلى القسم الثانى، فحاصرهم المسلمون، واستسلم اليهود، وسمح لهم الرسول ﷺ أن يخرجوا بنسائهم وأولادهم، وأن للمسلمين أموالهم، وأراضيهم، لكنهم عرضوا على الرسول ﷺ أن يبقوا ويصطلحوا على زراعة الأرض، فصالحهم الرسول ﷺ، على أن تكون الثمار مناصفة بينهم، ثم صالحت بقية مدن اليهود الرسول ﷺ، وبذلك استراح الرسول ﷺ من شر اليهود إلى حين .

